المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعرفية
جامعة فردوسي مشهد 2025 CHARMO

الصورة الشعرية بين الرومانسية والواقعية عند علي الطائي

م.م. وسن كاظم كريم[1]

١. مدرسة في مديرية تربية الرصافة الاولى، بغداد [1]

الملخص

يعدّ علي الطائي أحد أبرز الشعراء العراقيين المعاصرين، والذين قد ثاروا على الالتزام بتيار واحد أو اتجاه شعري واحد، فتراه يتلزم بالرومانسية مع الخلط بينها وبين الكلاسيكية، ثم يُظهر نوعا من الواقعية ثم يعود إلى رومانسيته مرة أخرى، ولكن عند الحكم عليه بميزان الكم نجد أن أغلب قصائده اتجه إلى الرومانسية، مع ظهور الواقعية بكثرة في شعره السياسي والمجتمعي. ولكن ذلك لم يكن خروجا عن الرومانسية بقدر ما كان يناقش بعض القضايا التي تطرأ على الساحة الأدبية، فشاعرنا قد وجد في الرومانسية خلاصه ورنقا لحياته الشعرية، واعتبر الشعر خيال يعيشه في واقعه. تكمن أهمية البحث في كونه يناقش حالة الخلط التي وقعت بين الصورة الرومانسية والواقعية وكيف أن كثيرا من الشعراء ومنهم علي الطائي قد حصل عندهم تلك الحالة. تمّ تنظيم هذا البحث على أساس المنهج الوصفي التحليلي لجمع المادة الشعرية ثم الوقوف على تحليلها.

الكلمات الدليلية: الرومانسية، الواقعية، الصورة الشعرية الموضعات الشعرية.

١. المقدمة

لقد شكلت الصورة الشعرية أهم القضايا الأدبية المعاصرة، وتعلقت تلك الصورة بالنزعة التي اتجه إليها الشاعر، فنرى بعض الشعراء يميلون إلى السياسة والمجتمع ومشكلات الحياة والواقع،ونرى الآخرين ينزعون إلى خيالهم ويرسمون فيه أجمل اللوحات في أذهانهم، وبعض الشعراء يتردد بين هذا وذلك، وكل شاعر له مرجعياته الثقافية التي تكون عنده صورته الخاصة بحسب ما يميل إليه، وتلك المرجعيات تعد جزء من الأدب والنقد من قديم الأزل، فقد بدأ الأمر مع النقد الموجه للروايات منذ القدم، فكانت النقد الثقافي يوجه للرواية منذ أن بدأ الشعر بالظهور إلى النور فكان النقد الثقافي مبني في المقام الأول على المرجعية الثقافية للشاعر، وتوجيه حالة الواقع الثقافي للقصيدة بالوصول إلى إمكانية الواقع أو الخيالي لما هو مكتوب وكسر قاعدة "إمكانية الحدوث" التي تمثل العنصر الرئيس في النصوص الشعرية والنثرية والتي مثلت اتجاه الأديب. (وادي، ٢٠٠٣: ٥٥) فكان الكثير من الأدباء والنقاد الذين اعتنوا بالاتجاه الذي يسلكه

[1] -Email: Wasankazimkareem@gmail.com

الشاعر قد اعتبروا أنّ ظاهرة الصورة الشعرية التي اشتملت على اتجاه الشاعر، سوء كانت واقعية او رومانسية رمزية من أهم المرجعيات الثقافية العربية قديما وحديثا، فقد احتلت تلك التيارات والصور الشعرية لها مكانة بارزة في نتاج الشعراء العرب المعاصرين بوصفها "رؤيا يتحقق فيها التفاعل بين الذات والموضوع". (احمد، ١٩٧٨: ٣٠٨)

١. ١. خلفية البحث

"لقد كُتِبتْ مؤلفاتٌ عديدةٌ فى مجال الصورة الشعرية بين الرومانسية والواقعية، يُشارُ منها إلى كتب تاريخ الأدب العربي اثر شوقى ضيف وفي الأدب الحديث من لويس عوض و أيضا المدارس الأدبية لسامى الدروبى. أما فيما يتعلّقُ بآراء على الطائى الشعرية وتحليل أشعاره، فيمكن القولُ تقريباً بأنّه لم يُؤلّفْ أىُّ أثرٍ مُدوَّنٍ فى هذا الخصوص.

١. ٢. الأسئلة البحث

١.ما هى أبرزُ سماتِ الصورةِ الشعريةِ فى شعرِ على الطائى؟

٢.كيفَ تتجلّى خصائصُ المدرستينِ الرومانسيةِ والواقعيةِ فى صورِهِ الشعريةِ؟

٣.هل يمكنُ تحديدُ غلبةِ أحدِ هذينِ المنحيينِ (الرومانسى أو الواقعى) على صورِهِ الشعريةِ؟ وكيفَ يتجلّى ذلكَ؟

١. ٣. فرضيات البحث

١.تتجلّى فى شعرِ على الطائى سماتٌ مشتركةٌ بينَ المدرستينِ الرومانسيةِ والواقعيةِ فى تصويرِهِ الشعريّ، ممّا يُؤكّدُ التداخلَ والتفاعلَ بينَ هذينِ التيارينِ الأدبيينِ فى تجربتِهِ الشعريةِ.

٢.يميلُ على الطائى فى بعضِ صورِهِ الشعريةِ إلى تغليبِ الجانبِ الرومانسيّ، حيثُ يُعبّرُ عنِ العواطفِ الجياشةِ والخيالِ الجامحِ، بينما يتّجهُ فى صورٍ أخرى نحو الواقعيةِ، مُصوّراً الواقعَ الاجتماعىَّ والسياسىَّ بِدقّةٍ ووضوحٍ.

٣. يُوظّفُ على الطائى فى تصويرِهِ الشعريّ تقنياتٍ شعريةً متنوعةً مُستمدةً من كِلا المدرستينِ، ممّا يُساهمُ فى إثراءِ تجربتِهِ الشعريةِ وتنوّعِها.

١. ٤. الإطار النظرى للبحث

يتكوّن هذا البحث من أربعة أقسام رئيسية:أولا: المقدمة وفيها تعريف الموضوع وأهميته والمنهجية والهيكلية. و ثانيا المفاهيم العامة اشرنا فيه على المطلبين: المطلب الاول: المدرسة الرومانسية نشأتها وخصائصها:

المطلب الثاني: المدرسة الواقعية نشأتها وخصائصها.ثالثاً: الموضوعات الشعرية الرومانسية وصورته عند علي الطائي. رابعاً: الموضوعات الشعرية الواقعية وصورتها عند علي الطائي.

٢. المفاهيم العامة

٢. ١.التعريف بالواقعية والرومانسية

شهد العصر الحديث العديد من التيارات والمدارس الأدبية لا سيما منذ أواخر القرن التاسع عشر، فظهرت العديد من المدارس أمثال (الإحياء والبعث ثم تلاها الديوان والمهجر، وأبوللو)، فسيطرت الاتجاهات مثل الرومانسية والكلاسيكية والواقعية على العديد من الشعراء.

٢. ١. ١. المدرسة الرومانسية نشأتها وخصائصها

تعدّ أواخر القرن التاسع عشر هي بداية الرومانسية في الأدب العربي عبر عدة اتجاهات؛ فقدة مثلّت الرومانسية في الأدب العربي عدة تيارات ومداس هي: الديوان وأبوللو والمهجر، وقد اختارت هذه الاتجاهات الرومانسية المختلفة، شكلا متمردا على الشكل التقليدي للقصيدة العربية، وعلى المدرسة الإحيائية، فيطرح التراث العربي شكلا أساسيا لموسيقى قصيدة الشعر، وهذا الشكل هو الوزن الواحد والقافية الواحدة، دون إمكانية تغييرهما داخل القصيدة الواحدة ولقد ظل هذا الشكل أساسيا حتى العصر الحديث. (مصطفى وعبد الرضا، ٢٠٠٠: ٦٣) "تعدّ الرومانسية أهم حركة أدبية في تاريخ الآداب الأوروبية؛ لأنها اشتملت على كثير من المبادئ، كما أنها كانت خطوة في سبيل نشأة المذاهب الأدبية المختلفة". (بقاعي وسامي، ١٩٧٩: ٥٦) إنّ الوحدة العضوية في القصيدة أصل من الأصول المشتركة بين العقاد وغيره من رجال مدرسة التجديد في الشعر العربي الحديث، فتحول الشاعر الرومانسي إلى "غريب في عصره بشعوره وإحساسه، لذا كان عصبي المزاج ذا نفس سريعة التأثر" (هلال، ١٩٨١: ٥٧)

أما عن مدرسة الديوان قد تجسدت رؤية هذه المدرسة على أساس نظري وتطبيقي معا في كتاب "الديوان"، الذي أصدره عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، الذي صدر في بدايات العقد الثاني من القرن العشرين وتحديدا عام ١٩٢١. ولقد شهد الشعر العربي – مع هذه المدرسة – تطورا ملحوظا في المضامين والصور الشعرية واللغة، وإن لم يختلف – كثيرا – من ناحية الشكل. وقد بدا تأثر هذه المدرسة بالثقافة الغربية، خاصة الشعر الإنجليزي؛ كوليريدج. كما انعكست هذه الروح الغربية في كتاباتهم النقدية أيضا، التي كانت أكثر ثورة وتمردا، بالرغم من محافظة المدرسة الرومانسية على بعض

الخصائص الشكلية للقصيدة العربية التقليدية، مثل وحدة الوزن ووحدة القافية، فإنها تحمل مجموعة من الخصائص والملامح الفنية التي نادت بها، والتي منها: (فائق وعبد الرضا، ٢٠٠٠: ٦٣)

١-الذاتية أو الفردية وتعد من أهم مبادىء الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل.

٢-التحرر من قيود العقل والواقعية والتحليق في رحاب الخيال والصور والأحلام فلقد ركز شعراء هذه المدرسة على القلب والوجدان وما يتعلق بهما، فربطوا بين الشعر وذات المبدع.

٢-التركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي، لذلك لا تهتم الرومانسية بالأسلوب المتأنق، والألفاظ اللغوية القوية الجزلة.

٣- الاهتمام بالآداب الشعبية والقومية، والاهتمام باللون المحلي الذي يطبع الأديب بطابعه.

٤ - دعا الشعراء الرومانسيون العرب إلى الاهتمام بجوهر الشعر، والانصراف عن شعر المناسبات والمدح الذي قضى - من وجهة نظرهم - على الشعر العربي.

٥-التخلص من وحدة البيت والاهتمام بالوحدة العضوية.

وكانت أهم الخصائص التي ظهرت عن الرومانسيين الخيال والنزعة إلى الحب والعشق، والعاطفة والنزعة الرمزية الأسطورية، واستدعاء التراث، والدعوة إلى الهروب من الواقع إلى خيال المؤلف، وبروز الفردية.(الحمداني،١٩٧٨: ٢٠)

٢. ١. ٢.المدرسة الواقعية نشأتها وخصائصها

بعد أن سيطرت المدرسة الرومانسية على العالم الأدبي ظهر اتجاه آخر مناهض لها، وهو الاتجاه الواقعي، فبرز رواد هذا الاتجاه وأخذوا على عاتقهم ضرورة عودة الشاعر إلى الواقع وترك ذلك الخيال الرومانسي، مع اعتقادهم أن الشعر لابدّ أن يعالج الواقع الحياتي ومشكلات المجتمع، وأن الشاعر باعتباره فرد من هذا المجتمع لابد أن يساهم في علاج مشكلاته، وكل من اتجه إلى ذلك الاتجاه صار واقعيا، ويخلص الشاعر والناقد بدر شاكر السياب في الجواب عن سؤاله عن الواقعية فيقول إنها: "اتجاه يندرج تحت لوائه شعراء من شتى المدارس الشعرية فكل من استحق اسم شاعر يمكن أن يسمى واقعيا". (عباس، ١٩٧٨: ٢٤٠)

وفي الوقت التي كانت فيه الرومانسية تسيطر على ميدان الشعر والأدب بشكل عام، برز الاتجاه الواقعي على الساحة، ففي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت بداية تلك الملامح لهذا الاتجاه، فكانت كرد فعل تجاه الرومانسية كما أن الرومانسية كانت رد فعل تجاه الكلاسيكية. وكما أن الرومانسية تمثل الخيال والجمال مثلت الواقعية الواقع والمجتمع والشعب. (اسماعيل، ب.ت: ٣٠-٣١)

كما التزم أكثر الرومانسيين بالميزان الشعري وبحور الشعر انطلق أغلب الواقعيين إلى ترك الوزن والقافية والوحدة العضوية وما تعارف عليه الشعراء إلى الشعر الحر: "تتيح الأوزان الحرة للفرد العربي المعاصر أن يهرب من الأجواء الرومانسية إلى جو الحقيقة الواقعية التي تتخذ العمل والجد غايتها العليا، وقد تلفت الشاعر إلى أسلوب الشطرين فوجده يتعارض مع هذه الرغبة عنده لأنه من جهة مقيد بطول محدود للشطر وبقافية موحدة". (الملائكة، ب.ت، ٥٦)

وليس هذا شرطا في الشعر الواقعي إلا أنه حصل مع أغلب شعراء الواقعية، والمتحصل من ذلك أن رواد هذا الاتجاه اجتمعوا في بعض الخصائص الفنية والموضوعية، والحق أن الدعوة إلى تجديد ميدان الشعر وترك الوزن والقافية كانت دعوة الرومانسيين، وقد تنامت هذه الدعوات التجديدية مع شعراء المرحلة الرومانسية بمدارسها الثلاث (الديوان المهجر/ أبوللو) التي طالب عدد من شعرائها بالتخلص من قيود الوزن والقافية، وبأن تتحقق للقصيدة ما أسموه بالوحدة العضوية، أي أن يكون الترابط بين أبيات القصيدة مثل الترابط بين أعضاء الجسم الحي، لا يمكن تبديل موقع عضو منها أو الاستغناء عنه، ولا يمكن فهم القصيدة إلا بعد قراءتها كلها، ولذلك يمكن أن نسمي الوحدة في القصيدة الرومانسية بوحدة التداخل أو الاندماج. ويعد خليل مطران المعبر الرئيسي أو القنطرة التي عبر من خلالها الأدب العربي من مرحلة الإحياء والبعث إلى مرحلة الرومانسية. فقد خلط مطران في شعره بين الملامح الفنية الكلاسيكية والملامح الفنية الرومانسية. (الجندي، ١٩٨٣: ١١)

وقد هاجم رواد المدرسة الواقعية الرومانسيين بالكثير من الانتقادات، وبينوا أن رواد هذه المدرسة وقعوا في تناقضات عدة، منها: (هيكل، ١٩٩٤: ١٥٠) (الدسوقي، ٢٠٠٠: ٢٤٣)

١- أنهم رغم رفضهم لشعر المناسبات وتوجيه هجومهم الأساسي عليه خاصة من قبل شعراء مدرسة الديوان – إلى أحمد شوقي؛ لأنه من وجهة نظرهم شاعر مناسبات، رغم كل هذا فإنهم كثيرا ما وقعوا فيما سبق لهم أن انتقدوه على من سبقهم. فلقد كتب العقاد، وغيره، قصائد في شعر المناسبات. فقد كان شعراء هذا الاتجاه يبتعدون — في فترة – عن الشعر السياسي وعن شعر المناسبات بصفة عامة.

٢- أن مبدأ التجديد الذي رفضه رواد هذه المدرسة، واتخذوه ذريعة للثورة على مدرسة الإحياء والبعث عامة، وأحمد شوقي خاصة، سرعان ما انقلبوا عليه عندما أصبحوا روادا وأسماء لامعة، وأخذوا مكان سابقيهم، فنجد هؤلاء الشعراء يرفضون منح هذا الحق في التجديد لغيرهم، هذا ما رفضه العقاد على كل من صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، الذين بثوا الشعر الواقعي تجاه الرومانسيين.

٣- حل السطر الشعري بديلا عن البيت الشعري، مع طرح مفهوم جديد للوزن والقافية، دون التخلص كلية من وحدة الوزن والقافية، فالشعر الواقعي وبخلاف ما يبدو للبعض مما قد يفهم من إطلاق مصطلح الشعر الحر عليه - شعر موزون ومقفى، ولكن حسب المفهوم الجديد لهما، الذي يجعل منهما وسيلة لا غاية. ولذلك احتل مصطلح التفعيلة مكانة كبيرة في هذا الشعر، للدرجة التي أطلق مصطلح شعر التفعيلة علة شعر هذه المدرسة. (عباس، ١٩٧٨: ٢٥) (علوان، ١٩٧٥: ١٥)

٤-اهتمت هذه المدرسة بالمضمون الشعري، فسعت إلى التعبير عن القضايا الحياتية للمواطن البسيط.

٦- أكدوا التركيز على الوحدة العضوية والفنية للقصيدة.

٧-اعتمد شعراء هذه المدرسة على مصادر متنوعة في شعرهم، ما بين مصادر تاريخية قريبة أو بعيدة، أو مصادر أسطورية، أو مصادر تراثية، أو مصادر شعبية، أو مصادر مأخوذة من الواقع المعيش.

٨-طوروا القصيدة بالاعتماد على النزعة القصصية بعناصرها القصصية المتعددة.

٣. الموضوعات الشعرية الرومانسية وصورته عند علي الطائي

تظهر النزعة الرومانسية الطاغية في شعر علي الطائي من خلال دواوين شعره، وقد تجلت العديد من موضوعات الشعر الرومانسي في شعره وعلى رأسها:

٣. ١. الشعر الديني ودعوة التأمل

يبدأ الشاعر الرومانسي بصورته الرومانسية الدينية كنوع من التفتح على نافذة العالم كأنها لحظة ولادته، فيبدأ بتهميش الواقع وتحوّليه إلى رموز وإشارات تجريدية، لأنه كان يحسّ بأنّ الحياة غامضة وكئيبة، فيلجأ إلى الدين كنوع من الهرب من واقع لا يمكنه الاستقرار فيه حيث إن في أدب كل أمة رموزاً تقليديةً، ففي الدين له ملاذ ومعاني كثيرة يحولها إلى رموز وهذه جميعاً تحمل معاني يعرفها الجميع، لكن الأديب الرمزي لديه رموزه التي تخص دينه دون غيره، وهذه بالطبع أكثر صعوبة في التأويل، ولكنها أكثر إثارة وجدوى. (الجيوسي، ٢٠٠١: ٧٨٢)

ولعل الشعر الديني أكثر ملامح الرومانسية ظهورا عند علي الطائي ومن أمثلة ذلك قوله:

هبّ النسيم لأرض مكة ينزع.... بين الربوع فنشرك عطرك أضوع

وحي السماء إليك ينزل عاطرا..... جبريل يقرأ والهدى يتضوع

ونزلت في الغار الأغر برحبة..... وسكينة حلت فداؤك أنزع

أبرز شاعرنا الصورة الدينية في شكل رومانسي، فكان يبدأ بالحنين إلى مكة على اعتبارها الرمز الديني لكل المسلمين، وكان هذا الحنين لمكة في معرض ذكر الرسول وميلاده، وأن مكة تضوعت عطرا من عطر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يبين أن هذا العطر قد أكسبه من الوحي الذي ينزل به جبريل، ولا شك أن أبرز مجالات الشعر الديني الذي ظهر عند الرومانسية هو شعر المناسبات لا سيما شعر ميلاد الرسول وتلك المدائح النبوية.

ومن ذلك أيضا قوله: (الطائي-ب، ٢٠٢٢: ٣٤)

حديث ارتحال الروح في كنهه أثري... سؤال يحث الفكر إذ يبتغي إثرا

شبيه بهذا الماء من باب حكمة.... ذهاب يسوق الروح في ظعنها قهرا

....

عوالم هذا الكون ترضي فضولنا..... يحال فضول القول في نفيه هذرا

ويذهب هنا شاعرنا إلى الصورة الفلسفية العميقة ويتأمل كنه العالم في صورة سريالية لما بعد الواقع، ويتحدث عن ذهاب الروح وأثره على الجسد، وأين تذهب الروح عند خروجه من الجسد،في موضوعات فلسفية ميتافيزيقية، وكل ذلك يدلّ على عمق الصورة الرومانسية، فالتيار الرومانسي جنح إلى الدين والفلسفة والتأمل في العديد من موضوعاته.

ومن ذلك قوله: (الطائي-أ، ٢٠٢٢: ١٧)

رفعنا ذي أيادينا دعاء..... يخرق ظلمة برقا يضاء

عرفنا الله يسمع من دعاه..... فباب القدس يطرقها الدعاء

يلجأ شاعرنا إلى التضرع باعتباره أحد أشكال الصورة الدينية الرومانسية، فيرفع يده إلى الله بالدعاء في صورة شعرية رومانسية.

ومن ذلك قوله في ذكرى المولد النبوي:(الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٢٠)

ولد الشفيع قلوبنا تتبارى..... في بطن مكة فالانبام حيارى

من خير ما وطئ الثرى فسلالة..... طابت وطاب سليلهنّ ديارا

يعدّ شعر المولد النبوي والمدائح النبوية أقدم ما عرفه الاتجاه الرومانسي من الشعر الديني، فتمثّل شاعرنا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم بذكر مولده، ثم بذكر الرمز الديني الأول للمسلمين وهو مكة والتي

طالما ذكرها في شعره، ثم يمدح سلالة النبي وهم آل البيت الأطهار في ذكرى مولده، مما يدل على التعمق في الصورة الرومانسية الدينية.

٣. ٢. النزعة الذاتية والفردية

تعد النزعة الفردية الإبداعية إحدى تمثلات الصورة الرومانسية كم ذكرت سابقا، وقد ذكر شاعرنا العديد من تلك الصور ومنها قوله:(الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٢٢)

مهما كبرت فإني خائف وجل..... مهما كتبت فإني فيك أختزل

خاضوا بذكرك ما أرجوه مكتملا..... من فضلك القول من أوصافك الجمل

بدأ شاعرنا مقطوعته بذكر الصورة الفردية بأنه مهما كبر في السن وتقدم في الشعر فهو خائف من التقصير في القول، وأنه مهما برع في الشعر يظل لم يصل إلى ما تروم إليه نفسه، في صورة فردية إبداعية، فيذكر أن الشعراء قبله خاضوا في مدح النبي وقالوا كل ما يجب أن يقال وأن كل من أتى بعدهم لن يأتي بالجديد، فهو وجل من ذلك، ولكنه سيقتنص الصورة والجمل من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنه قوله:(الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٥٤)

يا نخلة في بلادي هاكِ ما أجد..... تنازعني البلايا وأشتفي الكمد

يا نخلة في بلادي هاكِ من وجعي..... شئيا كثيرا قريبا ينقضي الأمد

يشكو شاعرنا ما يجد إلى نخلة في بلاده،وهي صورة رومانسية رائعة، حيث يعتمد الشاعر التجربة الذاتية في الشكوى إلى أشجار وطنه، فيرتكز في صورته على الحالة الخيالية والإبداعية.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ٣٧)

كأن الحياة وعمرا تلا..... كفجر تواصل ثم انجلى

وهذي الحياة كرصف الحروف.... دعونا نحيل الرؤى سنبلا

ونتلوه شعرا نشيد الحياة..... وحاشا يقصر فيما تلا

يطلق الشاعر تجربته الفردية في صورة حكمة ونصيحة، فيبين أن الحياة نذهب سريعا كالفجر يظهر ثم يتفشى في الأرجاء نورا، ثم إن الحياة على اختلاف وجهات الناس فيها لا يبقى منها سوى الأثر الجميل، فيدعو إلى ترك الأثر الجيد لا السيء فيها فيشبهه بالسنابل والزرع،ويصوره في صورة الشعر الجميل في نشيد الحياة.

٣. ٣. الحنين والغربة

يعدّ الحنين إلى الوطن أحد أهم ضروب الموضوعات الرومانسية، فالشاعر يصور ما حصل لوطنه من حروب ومآسي في شكل غربة، وكأنه تغرب عنه وهو فيه، ويتمنى أن يعود وطنه إلى سابق عهده الذي عرفه، ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ١٤)

مجالس طاولت أفق الثريا..... كأنا أنجم برحاب بدر

وخير الناس من أدلى بخير..... ومنه البشر ينضحنا بقطر

فتراه يحنّ إلى مجالس الأصحاب الذين تفرقوا فكانت مجالسهم رحيبة تسع الجميع، وكانوا فيها كالنجوم، ثم يصف أصحابه الذي نأى عنهم بأنهم كانوا خير الناس في عموم الفائدة، ومثل القطر الذي ينضح بالماء العذب.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ١٧)

إني أرى الناس تهوى بارق الذهب... أنساهم التبر جهلا عالي الرتب

الضرب في الأرض كشفا يجتني أدبا... خذ من جناها بصيرا نعما الأدب

يذم شاعرنا الضرب في الأرض والسفر عن الأوطان لاجتناء المال، فهو يسبب الغربة والحنين إلى ذلك الوطن، ثم يبين أنه إن كان ولابد من السفر فلابد ان تسفيد منه وتتعلم آداء الأمم.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ٢٦)

إذا عز خل واعتلاك بفقده... ضروب من الهم المقيم فتخضع

فمثلك موجوع وليلك دائم..... فنون البلايا في رحابك تمرع

يصرح شاعرنا بالفقد لمن أحبهم، فأصابه لذلك الهم والوجع، فالحنين يكويه بين ضلوعه ولا يستطيع إلا أن يتمنى عودته ليراه ويجتمع بمن أحب.

٣. ٤. الخيال والحب

يعد الخيال والحب أساس الخلق الشعري في التيار الرومانسي، فهما تشكيل جمالي ونفسي يتكون مما التقطته حواس الشاعر المبدع من مدركات حسية أو معنوية، بحسب طبيعة تأثره بها، حتى يمكن أن نطلّ منها على الباعث النفسي المتواري خلف ألفاظ القصيدة ومكوناتها الفنية وأسسها البنائية ومهيمناتها الأسلوبية، وما تركته التجارب والمشاهد الرومانسية التي رافقت حياة الشاعر من آثار عميقة الغور في وجدانه، فتتدفق احساساته بصياغات جمالية محسوسة ومشحونة بعاطفة تستجيب لها نفس المتلقي على

نحو تلقائي لتلمس انفعالات الشاعر وخلجات نفسه المعبرة عن نبوغه الفني وعبقريته الشعرية الفذّة عن طريق ربط الخيال بالصورة. (عصفور، ب.ت: ١٤)

ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ١٩)

تريب بأن الحب في أصله أصل... فدع عنك مهووس العقول فلا عقلُ

تلوم بأن الحب يقتل أهله..... فإن قرار القتل في ساحه حل

بداعي قتيل الحب أعطى شهادة..... وإني بهذا الأمر أرقى فلا ذل

يذهب الشاعر هنا مذهب ابن الفارض في الحب والرومانسية،فتراه يهيم على وجهه حبا ويبين أنه يقتل في ساحة الحب، ولا لوم من قتل الحب للمرء، فيلجأ إلى الخيال في تصوير قتل الحب للمحب، وهو بهذا القتل ينال الشهادة.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ٢٧)

إذا هدرت على ساق... تلف الساق بالساق

كأن الورق مزمار..... يناديني بأشواق

حمام الأيك أشجاني..... وصفر تلك أوراقي

يستعدي الشاعر تلك الصورة الرومانسية الجميلة للهدير وهو الصوت الشجي، ثم يبعث صورة الشجر وحمام الأيك ويستدعي التراث في الصورة الرمزية التي لجأ إليها الشاعر لإثبات تلك الصورة الرومانسية، فاستعداء التراث أحد أشكال الرمزية الرومانسية.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ج، ٢٠٢٢: ١٧)

إلى الاحلام في شدوي أميل..... أصاب العين من سهدي ذبول

ظلام الليل كللنا ليروي..... غليل صبابة هم ثقيل

وأهل الليل في سكرات حلم..... تغشاهم كما فعل الأصيل

يشكو شاعرنا شدة الحب والذبول والسهد والسهر، ثم يشكو ظلام الليل وآلام الحب ولاعجه، ويبين أنه محب وكل أهل الحب سكان الليل يعيشون في سكرات الحب، ولا يصحون منه، فيذهب في أعماق الخيال ليبرز صورة الحب الذي تمكن منه.

ومن ذلك قوله أيضا:(الطائي-ج، ٢٠٢٢: ١٩)

حروف الشعر في كيفك تغفى..... مليك الشعر هل أغفلت حرفا

أعرني فاضلا درر المعاني..... مدى الأيام من شعر مقفى

فشاعرنا يتغزل في محبوبته ويبين أن حروف الشعر يستمدها من حبيبتها الملهمة،في صورة خيالية رومانسية، فالشاعر يصور تلك الحبيبة بأنها مدار المعاني وحروف الشعر،وفي ذلك كناية عن كونها الملهم له.

٣. ٥. شعر الطبيعة

شغلت الطبيعة الحيز الأكبر في حياة الكثير من الشعراء لا سيما الرومانسيين منهم، فكانت الطبيعة المكانية لها الدور الأكبر في العنصر الأدبي، ودائرة الطبيعة المؤثرة في الشاعر مثلت حيزا كبيرا من الجمالية المكانية، فكل شاعر يفتخر بطبيعة وطنه وأرضه لابد أن يعرض لها بالكثير من الأبيات، فقد أصبح المكان الذي "يتبناه الإنسان ويجد فيه خصوصيته، ومثل هذا الأدب يشق الطريق إلى العالمية، ولكنه يفعل ذلك عبر ملامح قومية بارزة وقوية أحدها المكانية".(باشلار، ٢٠٠٠: ٥-٦)

وكانت صورة الشعر في الطبيعة أحد أعمدة الشعر الرومانسي عند علي الطائي ومن ذلك قوله:(الطائي-ب، ٢٠٢٢: ٢٢)

متع عيونك بالفيحاء ما يجب..... لن يجدي اللوم في النائين والعتب

أزجي إليها حنين الوجد أغنية..... تهدي القلوب كوحي جاء ينتدب

يا من تسائل عنها أي غانية..... عادت تصارع دهرا كله لغب

يصور الشاعر الفيحاء بالمرأة الغانية الجميلة والتي تستغني عن الزينة، فيبرز تلك الصورة الطبيعية للمكان كصورة المرأة، ويبين أن الأغاني والأشعار لا تكفي لوصف حبها.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ج، ٢٠٢٢: ٢٣)

اهمل فديتك نفسي أيها المطر..... بلّل رُبى وطن ما عدا يُذَّكر

زر كرمة الترب علل غربة لزقت..... في هذه الأرض أضحى أنسها الحذر

في صورة رومانسية لوصف الطبيعة يتطرق الشاعر إلى المطر وهو السبب في خضرة الأرض وجمالها ورونقها، فيطل منه الشاعر أن ينزل بغزارة على كومة الترب فيحلوها إلى خضراء نضرة، ويطلب منه ان يزيل ما علق بالأرض من قذر الاحتلال.

ومن ذلك قوله:(الطائي-أ، ٢٠٢٢: ١١٩)

يا فرات سمعت صوت المنادي..... هادرا في ربوع هذي البلاد

أنت تجري في درب هذا الزمان..... سر رويدا مهاجرا باتّئاد

هل سألت العيون يخبو ضياها.... ناضحات من الأسى في حداد

لا شك أن نهر الفرات يمثل لأهل العراق الطبيعة الخلابة وأن العلاقة بين الشاعر العراقي وبينه علاقة ود وحب، فقد ذكره هنا في صورة رومانسية رائعة تربط بين جمال الطبيعة وحب الشاعر لها، وتبرز الدور المهم للفرات في حياة العراق كلها.

٤. الموضوعات الشعرية الواقعية وصورتها عند علي الطائي

لم يكن الطائي واقعيا بحتا، ولكن كان يميل إلى بعض موضوعات الشعر الواقعي، ومن امثلة تلك الموضوعات:

٤. ١. الشعر الوطني

لقد مثل الشعر الوطني جزء كبيرا من شعر شاعرنا، ومن أمثلة ذلك قوله:(الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٢٤)

هل يقبل الطهر فيما حل بالبد... مهد الحضارات والأديان يبتذل

يا مبدع الخلق والأفلاك مقدرا.... الآكلون باسم الدين قد وغلوا

يتحسر الشاعر هنا على ما حل بوطنه، وبما أصاب البلاد من بعد الاحتلال، فبعد أن كانت العراق من أغنى البلاد تحول الكثير من أهلها إلى السفر إلى الخارج لكسب لقمة العيش، ونهب العدو خيراتها، كما أصابتها لعنة بعض الرجال الذين يختبئون خلف عباءة الدين لنهب الناس وثروات البلاد.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ج، ٢٠٢٢: ٣٠)

نامت بلدي بلا ريب على ضرر... والسائرون على أكتافها عبروا

نامت بلادي فصار الجهل عائلها... وامتاز بالعهر سلطان ومقتدر

يصور الشاعر ما حل ببلاده وبالخراب والدمار الذي خلفه العدوان والاحتلال، فالعراق أصبحت على ضرر كبير بينما سار العدو محملا بالثروات التي سرقها من بلاده، فتحول أهلها إلى الجهل والجوع، كما ظهر الفساد في السلطة والتحكم بالناس ونهب خيرات البلاد.

ومن ذلك قوله:(الطائي-ج، ٢٠٢٢: ٤٧)

عراق الصبر مهجتنا تفرّى..... فليل القهر حندسه يمور

لقد طال الأسى ومضى بعيدا..... وفي ساح الوغى وغرت صدور

ترتكز الصورة السابقة على حالة من المفارقة الصوتية والحسية بين الصبر والقهر والأسى والوغى، فالشاعر يحاول أن يصبر أهل العراق ويدعوهم إلى العمل لبناء وطنهم من جديد،فالعدو قد غادر البلاد وإن كان الأثر لا زال عالقا بالناس.

٤. ٢. الشعر السياسي

لم يكن الشاعر من المكثرين من الشعر السياسي ولكنه عاصر فترة كان ولابد فيها من الحديث في السياسة، ومن ذلك قوله في الحديث عن الاحتلال الأمريكي للعراق: (الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٤٠)

قدموا إلى أرضي وكان يسوقهم..... همج التكبر في مسير مخجل

ودَبُوا إليه دبيب نمل جحفل..... كي يخطفوا مني تراث الأمثل

كتهافت الغربان يوم كريهة..... عاثوا بأرض الله عيث الأرذل

يظهر الشاعر الاحتلال ومآسيه وما فعله العدو ببلاده، فقد وفدوا جحافلا كثيرة مثل النمل، وعاثوا بأرض العراق فسادا، فتهافتوا مثل الغربان مجتمعين على تدمير العراق، وعاثوا بالأرض فسادا.

ومن ذلك قوله يؤرخ لحقبة الاحتلال وما تلاها: (الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٤٨)

حلمنا منذ أن كنا صغارا لا يسلينا

سمونا منذ أن صرنا كبارا لا يدانينا

حنين كان يدفعنا حنين كان يلهينا

خرجنا من فم التنين تدفعنا مآسينا

يتحدث الشاعر عن فترة ما بعد خروج المحتل وإن كانت فترة صعبة جدا، فلم يخرجوا إلا بعد تفتت المجتمع ودب في أبنائه الخلاف والفرقة، فخرجوا من فم التنين منهارين، فأصبحوا مجتمعا مفككا مغتالا.

وقال بمناسبة ثورة تشرين: (الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٦٠)

ارحل فقط نطق الشباب وزمجرا... قد بان ما تحت الغطاء وما جرى

ارحل فقد سأم التصبر شعبنا..... احذر إذا غضب الحليم وأعذرا

يتحدث الشاعر هنا عن حقبة من المظاهرات والثورة والأحداث السياسية التي سيطرت على العراق في صورة واقعية لما يحدث في البلاد.

ومن ذلك قوله: (الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٧٠)

حديث العرب أضناني..... فقلبي ساكن حان

نشيد العرب أشجاني..... فضاعت كل ألحاني

صبرنا فيك أزمانا..... وكل الصبر ألوانا

دعاء الغرب أغوانا..... فكان الأمر ما كانا

يظهر الشاعر صورة من صور الشعر الواقعي وهي صورة القومية العربية، فشعراء الواقعية اتجهوا إلى حالة القومية كنوع من الواقعية التي تمثل الوطن الكبير الذي يضم كل بلاد العرب، فكل العرب عانوا مما عانت منه العراق ولا تزال تعاني من المشكلات.

٤. ٣. الشعر المجتمعي

وقد يعرض الشاعر إلى حالة من المشكلات التي تعرض للمجتمع فيصورها كموضوع شعري على اعتبار أن الواقعية تحتم على الشاعر أن يعالج مشكلات المجتمع، فيمثل ذلك بقوله: (الطائي-ب، ٢٠٢٢: ٣٦)

الزيف في كل المنابر صادح... والحق يعلوه الصراخ كليل

والناس تأبى الصادقين لصدقهم... ومقول قول الزائفين تقول

فيمثل الشاعر تلك المنابر الكاذبة والتي اعتلاها بعض أصحاب الأهواء من الكاذبين الذين يقدحون نار لفتنة بين أبناء المجتمع، وكيف ان الناس تحولوا وتأثروا بمقالة أولئك الزائفين.

ومن ذلك قوله بعد أحداث تفجير فدك وموت مئات الشهداء: (الطائي-أ، ٢٠٢٢: ٥٢)

هل ما زال الحقد الأعمى..... يغتال عروس الأهوار

هل ما زال الدين الأعرج..... يفتي بإبادة ذي قار

من أدخل جرذان العصر..... غرباء حلوا في داري

يسطر الشاعر هنا حالة من الإرهاب الذي تفشى في المجتمع ويصور كيف فتك هذا الإرهاب عبر التفجيرات بمئات من الشهداء، وكيف ماتت تلك العروس في هذا التفجير يوم عرسها، في مصيبة تفجع القلوب وتدمي العيون، فيحاول الشاعر أن يبرز تلك الحالة التي أصابت البلاد من جراء الفتنة والقتل والتدمير وذلك الإرهاب.

النتيجة

في ختام هذا العمل توصلت إلى بعض النتائج وهي:

١-تعد الرومانسية نوع من التمرد على الكلاسيكية بإبراز الخيال والحب والهروب من الواقع، كما تعد الواقعية هي الثورة على الرومانسية والرجوع إلى الواقع وترك الخيال والامتثال إلى المجتمع.

٢-يعدّ علي الطائي أحد أبرز الرومانسيين في شعره في العصر الحديث، وأغلب موضوعاته تدور على التيار الرومانسي.

٣-يدل على الصورة الرومانسية التي جنح إليها علي الطائي موضوعات الحب والخيال والشعر الديني وغيرها من الموضوعات التي ظهرت بكثرة في شعره.

٤-يعد التمسك بالوحدة العضوية والبيت الشعري والوزن والقافية أحد الدلائل على رومانسية علي الطائي.

٥-ظهرت الواقعية في بعض المواطن في شعر علي الطائي بسبب ما حل بالعراق بسبب الاحتلال والفتنة الطائفية والإرهاب وغيره.

المصادر و المراجع

- أحمد، محمد فتوح. (١٩٧٨) *الرمز والرمزية في الشعر المعاصر*، ط٢،دار المعارف: القاهرة.
- اسماعيل، عز الدين. (٢٠٠٧). *الأدب وفنونه – دراسة ونقد*، دار الفكر العربي: بيروت.
- باشلار، غاستون.(٢٠٠٠) *جماليات المكان*، ترجمة: غالب هلسا، ط٥، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- بقاعي، شفيق، وسامي هاشم.(١٩٨٧). *المدارس والأنواع الأدبية*، منشورات المكتبة العصرية:بيروت.
- الحمداني، سالم. (١٩٨٩) *مذاهب الادب الغربي ومظاهرها في الادب العربي*، كلية الآداب جامعة الموصل.
- الجندي، أحمد أنور سيد أحمد.(١٩٨٣). *المعارك الأدبية*، مكتبة الأنجلو المصرية: قاهرة.
- الدسوقي، عمر.(٢٠٠٠). *في الأدب الحديث*، دار الفكر العربي: بيروت.
- الطائي، علي. (٢٠٢٢). *ديوان حب في وطن ضائع*، الطبعة الثانية، مطبعة المجلس الثقافي: بابل.
- _____ (٢٠٢٢). *ديوان حكمة القوافي*، الطبعة الاولى، مطبعة المجلس الثقافي: بابل.
- _____ (٢٠٢٢). *ديوان روح القلوب*، طبعة ثانية، مطبعة المجلس الثقافي: بابل.
- عباس، إحسان.(١٩٨٧). *بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره*، الطبعة الرابعة، دار الثقافة: بيروت.
- عصفور، جابر.(ب ت). *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*.

- علوان، علي عباس. (١٩٧٥) تطور الشعر العربي الحديث في العراق، اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، منشورات وزارة الإعلام: بغداد.
- مصطفى، فائق وعبد الرضا علي.(٢٠٠٠). في النقد الادبي الحديث، ط٢، مطبعة الكلية: موصل.
- الملائكة، نازك صادق. (١٩٧٩) قضايا الشعر المعاصر،ط٥، دار العلم للملايين: لبنان.
- هلال، محمد غنيمي. (١٩٨١). الرومانتيكية، ط٦، دار العودة: بيروت.
- هيكل، أحمد عبد المقصود.(١٩٩٤). تطور الأدب الحديث في مصر دار المعارف: القاهرة.
- وادي، طه. (٢٠٠٣).الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان: القاهرة.